# مقدمة

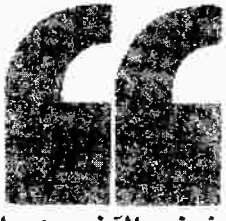

لم يكن في خاطري حين بدأت كتابة «من قريب» قبل أكثر من أربع سنوات، أن أجعل منها معاناة يومية متصلة .. من خلالها اقرأ وأفكر .. وأتساءل وأجيب .. وأتأمل وأتألم .. وأسمع نبض الآخرين واتواصل معهم .. واقترب من مشكلات الحياة وابتعد عنها .. وأرضى عن اشياء أو أسخط عليها .. وتحييني بوارق الأمل أو تميتني أسباب اليأس.

كان ظني أن كاتب العمود في صحافة عصرية ، لو أخلص مع نفسه واحترم قارئه، فلن يستطيع أن يصمد لكتابة جادة مثمرة ، إذا أدعى لنفسه القدرة على أن يكتب كل يوم شيئا ذا قيمة .. وغاية الجهد - كما رأينا في الصحافة العالمية في الدول التي سبقتنا - أن يكتب الكاتب مرتين أو ثلاثا في الأسبوع.

وفي معظم الصحف العالمية ، يستطيع كاتب العمود أن

يتوقف بعض الوقت .. أن يصاب بالملل أو بالمرض .. أن يضيق بنفسه وبمن حوله .. أن يسافر فى أجازة وينقطع عن التفكير والكتابة .. أن ينعم بشئ من الكسل .. وهو شيئ طبيعى وصحى .. فالكتابة اليومية حتى لكاتب محترف ليس بقرة يمكن حلبها كل يوم .. ولا هى دجاجة مضطرة الى وضع بيضها فى ساعة من ساعات النهار .. إنها معايشة ومكابدة .. ثم هى فكرة ومجاهدة ، وضبط لمؤشرات الاتصال مع العالم الذى يعيش فيه الكاتب .. ثم مع القارئ الذى يقرأ له ، ومع الأحداث التى تحيط به، ومع حركة الحياة وما يطرأ عليها .. ينفعل بها فتحفزه على التأمل والتفكير والاستجابة للمؤثرات التى تؤثر فيه .. حتى يستقر فى وجدانه أنه يستطيع أن يشرك الآخرين فيما يعن له من خواطر وأفكار وآراء ورؤى.

ولكن كتابنا الكبار الذين سبقونا ، من اصحاب الاقلام والاعمدة اليومية ، سواء فى الصحافة المصرية أو العربية ، وضعوا قواعد حديدية صارمة وأخذوا انفسهم منذ البداية بما لم يأخذ به أحد نفسه فى الصحافة العالمية المتقدمة .. فظلمونا من بعدهم وأرهقونا معهم !

أنهم أبطال دائمون فى رفع الاثقال السياسية والصحفية . تضخمت عضلاتهم واشتدت .. وأصبحوا مثل بطل الأسطورة اليونانية القديمة سيزيف .. مكتوب عليهم أن يستيقظوا كل يوم فيدفعوا بصخرة الكتابة الى اعلى التل ، فإذا أمسوا وأصبحوا فى اليوم التالى وجدوها قد تدحرجت وهبطت الى اسفل التل .. لتبدأ رحلة الصعود من جديد.

.هذه المعاناة اليومية الشاقة .. هذه الرياضة العقلية والفكرية المستمرة .. هل المطلوب أن تصبح بمرور الوقت عادة طبيعية مثل التنفس والأكل والشرب وغير ذلك ، يفعلها الكاتب دون ان يحس بها او يتعمقها ؟ هل يمكن

أن يغمس الكاتب قلمه فى بئر بغير قرار ، أو فى بحر لا ينفد مداده ؟

الله وحده هو الذى لاتنفد كلماته ول نفدت مياه البحر !

أما نحن الساعون فى مناكب الحياة ، الضاربون فى فجاج والأرض ، المرهقون والمحبطون أحيانا ، والمتعلقون بأهداب الأمل احيانا أخرى ، فقد نحتاج الى فسحة من الوقت نستجمع فيها شتات نفوسنا . ونلملم أفكارنا . ونجدد خلايا عقولنا.

وكان هذا هو الحل الوسط الذى ارتضيته لنفسى .. أن أكتب حتى اتعب فأتوقف . أن اجرى الى آخر ما تحتمل الأنفاس ثم أتريث . أن التزم بالكتابة كل يوم طالما أحسست بالقدرة على العطاء ، وعلى إثارة اهتمام القارئ وحفزه على التفكير، او على وضع الأحداث فى سياق رؤية متكاملة ، تضفى عليها معنى ، وتقدم تفسيرا، وتضع إجابة ، قد تكون شافية أو غير شافية .. ولكنها تحترم عقل القارئ، وتقيم جسرا من الفهم والتفاهم بينه وبين الكاتب، وبين الكاتب وذاته ، وبين ذاته والعالم المحيط بها ..

حتى إذا أوشك السراج أن ينفد، وهبت رياح الارهاق واليأس والضجر على مصباح العقل ، أعطيت نفسى أجازة من نفسى ومن القارئ وبقيت اسفل التل ..

الكاتب الصحفى ، غير كاتب القصة او الشاعر أو المؤرخ، اشبه ما يكون بعالم الفلك .. مهمته أن يرقب النجوم والأفلاك والكواكب من مسافات بعيدة يصعب قياسها ، وأن يرصد الانفجارات الشمسية وسقوط المذنبات والشهب .. يتابعها من تلسكوبه أو منظاره المقرب .. باحثا عن القوانين التى تفسرها . أو كاشفا للمسارات والعلاقات والقوى التى تجذبها او تطردها ، او تدفعها الى الصدام لتتلاشى وتغيب فى ثنايا العدم..

او قل هو مثل عالم البراكين ، يجلس قرب حافة البركان .. يمد رقبته ويصوب عيناه بصعوبة ، وسط سحب الدخان المتصاعد ، والرماد المتطاير ، والصهد المنفوش .. ليبصر ماذا حدث ، او ماذا يمكن أن يحدث !! نطاق الرؤية قد يكون محدودا لا يكشف عن شيء . ولو اراد ان يبحث عن الحقيقة ، فلربما يتعين عليه أن ينظر فى باطن الأرض أو فيما حوله .. الاحداث والناس قد يتحدثون عن أنفسهم ولأنفسهم ، ولكل شخص أن يستخلص من النتائج ما يريد . أما الاجابات التى أقدمها فليست ملزمة، وأما الحلول فليست نهائية ولاقاطعة ولا مضمونة . وانما هى اجتهادات محلقة فى فضاء الزمن قابلة للصواب والخطأ .. صواب قد نثاب عليه بأجرين . وخطأ قد نثاب عليه بأجر واحد ، لو أحسنا الظن بمن يقرأ ومن يتدبر ومن يحكم !

وكاتب العمود اليومى لا يستطيع أن يهجر حديث السياسة حتى لو أراد . فمن بين عشرات بل مئات من الأعمدة التى كتبتها «من قريب» كنت أفتش عن «اللاسياسة» فلا أجد غير «السياسة» .. تتحدث عن التعليم او البيئة او الحج فتجد نفسك فى قلب السياسة . تكتب عن الأدباء والفلاسفة والمفكرين فتتعامل مع السياسة .. تهرب الى الحديث عن الحب والمرأة فتقع فى مصيدة السياسة .. تذهب الى شاطئ البحر أو تصعد قمة الجبل أو تزور بلدا آخر فلا تعفيك مشاهداتك من الحديث فى السياسة .. تقرأ قصة أو كتابا جديدا فتغرق فى عواصف السياسة !!

والسياسة قد لاتكون هى الواقع الحى ولكنها تحاول أن تكون .. فنحن فى دول العالم الثالث معاقبون بالسياسة مبتلون بها . العارفون منا والجاهلون .. المثقفون وانصاف المثقفين. حتى حين نمارس الرياضة أو نتجه

الى ملاعب كرة القدم ، يتحول الانتساب الى ناد والتعصب لفريق الى تعبير عن مشاعر سياسية مكبوتة أو محبطة فى أعماق الشعور .. وللأسف فنحن نتقدم بالعمر فى السياسة ونكبر فيها وبها ومنها ، حتى ولو لم ننتمى الى حزب سياسى أو مذهب ايديولوجى . ونخلف لأولادنا من بعدنا رصيدا من التعاسة السياسية قل أن تجد لها مثيلا فى أى بلد من بلاد العالم !

ومع ذلك فقد سعيت جهدى أن ابتعد عن أى حديث صريح فى السياسة واخترت فصول هذا الكتاب من مشاهدات وأفكار وتأملات وتحليلات تفتح أمام القارئ نافذة أخرى من نوافذ الرؤى والتجارب والأحاسيس التى تحترم العقل ، وتغرى على التفكير، وتبحث عن الحقيقة.

ولن يستطيع المرء أن يجد الحقيقة المطلقة لكى يخلد الى السلام مع نفسه . فأنت إذا وجدت هذا السلام البسيط الجاهز مع النفس فلن تجد الحقيقة . واذا وجدت الحقيقة فلن تجد السلام .. وسوف تبقى هذه المناطق الرمادية فى حياتنا بأكثر مما نظن أو نريد .. وأكبر الظن أن هذه المناطق الرمادية .. هذه الحلول الوسط .. هذا الاستعداد النفسى للتسامح .. والتسليم بأن أحدا لا يملك الحقيقة كاملة .. هى التى تضفى على حياتنا قدرا من التماسك والثبات والتواصل .. إنها محاولة مستمرة دائبة للاقتراب من الحقيقة . ولم تكن «من قريب» غير تعبير يومى متصل عن هذه المحاولة !

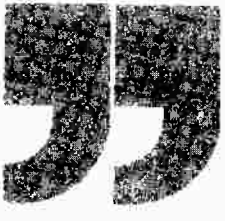

سلامة أحمد سلامة